

## الابولوجيا

(١)

رسالة كتبها الفيلسوف الالهي افلاطون احد تلاميذ سقراط . اتى فيها على دفاع سقراط عن نفسه اراء متهميه وقضاته . ويجدر بنا قبل ان نتابع نشر هذه الرسالة ان نلم بطرف موحز في السبب الذي حدا بالاثينيين الى محاكمة سقراط ولد سقراط عام ٤٧١ او ٤٦٩ قبل المسيح . وحوكم عام ٣٩٩ ق . م . ومات تلك السنة

ان حياة سقراط والسبيل التي سلكها اراء العامة والادعياء من اهل زمانه كانت في الواقع سبباً لاتهامه والحكم عليه بالموت . فان الذين لم يكن لهم به صلة كانوا ينظرون اليه بعين مؤلفي الروايات المضحكة التي كانت تكتب ابتغاء السخرية به والاستهزاء بتعاليمه . والذين كانوا يصادفونه من الجهلاء لم يستطيعوا ان يدحضوا حقه بما كانت تزين لهم الطريقة السفسطائية التي كانت ذائعة في عهده . غير ان نبوغه وما كانت تجرهُ عليه تعاليمه من البغضاء لم يكن السبب في الكارثة التي المت بهذا الفيلسوف العظيم . بل كانت هناك بواعث اخر غير هذه ادت الى اتهامه وجعلت اهل اثينا لا يأتقون من الحكم عليه وتنفيذ الحكم فيه وتلخص التهم التي وجهت الى سقراط في انه ( اولاً ) انكر آلهة اثينا التي كانت تعترف بها الحكومة واحل محلها آلهة احر من عنده ( وثانياً ) انه قن شبان اثينا

اما التهمة الاولى فكانت دعواتها قول سقراط بان صوتاً لازمه كل ادوار حياته مدعيان ان ذلك الصوت لم يكن الا هدى هاتف قدسي . واما التهمة الثانية فان زينوفون قد حصرها في بضع مسائل ( الاولى ) انه علم تلاميذه وجوب الخروج على النظم الحكومية . ( الثانية ) انه اعلن ان كريتياس والسيبيادس واحدهما من ممثلي حزب حكم الاقلية والثاني من ممثلي الحزب الديمقراطي اخطر من حاش في اثينا في ذلك الوقت على نظام الحكومة . ( الثالثة ) انه اغرى الشبان على الخروج عن طاعة آباءهم والقوامين عليهم ليحلوا سلطته عليهم محل سلطة

هؤلاء. (الرابعة) انه كان من عادته الاستشهاد باشعار من هوميروس وهيسيود تحض على اطراح الفضيلة والديمقراطية وكان الذين اتهموه ثلاثة ايتومس وماليتوس وليكون. واخذ كل واحد منهم قيادة فئة من الفئات. وانتهى الامر بالحكم عليه بالموت فتجرع محلول الشوكران ومات في سجنه بعد شهر من تاريخ الحكم عليه وظل طول مدة سجنه على صلة بتلاميذه واصدقائه يعلمهم فلسفة الموت وكيف يجب على الانسان ان يموت. وكانت التعاليم التي افضى بها الى تلاميذه خلال سجنه من اخص تعاليمه واشدها تأثيراً في نفوس الناس من بعده.

\*\*\*

ابولوجيا او دفاع سقراط عن نفسه

دفاعه قبل الفتوى بادانته

(١) لست اعلم يا آل اثينا ما شعرتم به اذ اتم مطرقون تصفون الى الذين يتهمونني. فان السبيل التي سلكوها الى التأثير فيكم لا السبيل المثلى حتى لقد انساني تظاهرهم بنصرة الحق نفسي. ومع هذا فلم يقولوا كلمة واحدة اتهموا فيها محجة الحق والصواب. ولم اوخذ لقرية افتروها اخذتي من تحذيرهم اياكم مي الا تؤخذوا بسحر بياني زعماء منهم باني الخطيب المصقع الكبير. وانهم لعلى يقين بائي سادحض برهانهم ببرهاني واضرب حججهم بحجتي واظهر لكم ظهور الصبح اذ يتبلج ضوءه انني لست بالخطيب القابض بزمام لسانه على اعنة البيان. ويخيل الي ان هذا اقصى ما يبلغ اليه عتوهم وانتهت اليه وقاحتهم. ما لم يكن قصدهم بالخطيب الكبير رجلا يقول الحق ويحترمه. اذا كان هذا قصدهم فانا عند قولهم. انا ذلك الخطيب — غير انني لست منهم في شيء. فانهم لم يفوهوا بكلمة واحدة جديرة باحترام العقلاء اما مني فستسمعون الحق الصراح. ولن يتبادر الى اذهانكم يا آل اثينا انكم ستسمعون مني ذلك الكلام المنمق والجميل الزيقة التي يضيع الحق في تضاعيف باطلها، بل كلام دارج وجل مرسله على غريزتها خالية من آثار التصنع وتكاليف الاوضاع. واني لا اعتقد اعتقاداً لا يوهنه الشك في ان ما اقوله لكم اليوم هو الحق لا اعدوه. لذلك امت اليكم ان لا ينشد احدكم امراً

الأستحلاء الحقيقة ضالة العقلاء . والحقيقة يا آل ائينا انه غير جدير برجل بلغ من العمر ما بلغت ان يقف امامكم وبين يديه دفاع معد من قبل كما تفعل الصبيان . وإن لي عندكم مسألة لا ابغي منكم عنها حولا : فانكم ان وجدتموني اتكلم اثناء الدفاع عن نفسي كما عهدتموني اتكلم فيكم من قبل في الأسواق وساحات المدينة وفي غيرها فلا يتملككم الاغراب في الحيرة والعجب ولا تقطعوا علي سياق قولي . ولقد يحسن بي الآن ان افصح لكم عن حقيقة الحال : فان هذه الساعة أول ساعة من عمري وقد بلغت السبعين ووقت فيها موقف الدفاع عن نفسي في حكمة قضائية وجهت الي فيها تهمة ما . ولذا نجدوني غريباً عن المصطلحات التي استأثرت بها المحاكم من لغتنا . واذ افسحتم لي في الكلام كما لو كنت أجنبياً عن لغة ومحجة ولدت وربيت بعيداً عنهما يخيل الي ان لي الحق اذا سألتكم الاصفاء وان تحتملوا سماع ما اقول — جيداً كان قولي ام رديئاً — وان تصرفوا اذهانكم الي البحث عن قضية واحدة لا تتعدد تنحصر في ان « ما اقوله و تسمعونه مني صواب او غير صواب » . تلك فضائل القضاة المدول كما ان فضيلة الخطيب مقصورة على ان ينشد الحقيقة المطلقة لذاتها

(٢) يحسن بي الآن يا آل ائينا اذ تعدت الدفاع عن نفسي ان اسلك سبيل النظر في اول من وجه الي تلك التهم المفتراة واول من اتهمني منكم ثم اعقب عليهم بمن تبعهم . وانكم لتعلمون ان من اتهمني وافترى علي منكم يخطئهم العدة وقفوا امامكم من قبل سنين عديدة يرددون صدى افتراءهم . واني لاخشي سعايتهم اكثر من خشيتي سعاية « انيقوس » وعصابته ولوانها عصبه رهيب كيدها مخيف مكرها . وعلى الرغم من هذا فان الاول يا آل ائينا هم الذين يجب ان احذرهم ضعف حذري من « انيقاس » هذا : فهم اولئك الرجال الذين ربوكم من صغركم وظلوا قوامين عليكم منذ حداثكم واستوتقوا من تضليلكم منذ ذلك العهد قاذفين نحوي من المفتريات ما شاؤوا قائلين لكم : « انه يوجد رجل يقال له سقراط : فيلسوف يتأمل خلق السماوات وما احتوت من حكمة ويبحث اسرار الارض وما استكثرت من علم ويقلب الحقائق حتى ليصور لسامعه حسناً ما ليس بالحسن » . هؤلاء يا آل ائينا هم الذين اذا عوا غني في عرض البلاد وطولها هذه الترهات وهم الذين احذرهم وامقتهم . ومن يصغي اليهم يخيل اليه ان بديهة العقل تسلم بان من

يبحث هذه الامور يسلم به البحث الى الزندقة وانكار وجود الله . ورغم هذا فان متهمي كثير ون اخذوا في اتهامي منذ سنين عديدة اذ كنتم في اول سني عمركم معدن لقبول كل ما يأتونكم به عني لقصر عهدكم بهذه الحياة الدنيا . فقد كان العديد الاوفر منكم في دور الشباب والفتوة واجريتم علي احكاماً ظنية ينقصها شرط اساسي من شروط العدل هو بعدي عنكم وغيبة من تسمعون منه الدفاع عن مسألتي . ومما يزيد امري منكم ريبة اني لا استطيع ان اعرف اسماء كل متهمي ما لم يكن فيهم رجل معروف يمثل شخصيتهم ويحدد مسؤوليتهم . لانه من بين الذين صرفوا كل عنايتهم منذ زمان بعيد في سبيل تضليلكم وغرس النفرة في قلوبكم للاجحاف بحقوقى تفر قد حملوا البعض منكم على الاعتقاد باضاليلهم لانهم انفسهم قد اقنعهم غيرهم ايهاًماً وتضليلاً . ومن المستصعب ان نسلك مع هؤلاء سبيل البحث في امري . وليس في مكنتي ان ادعو الى هذا المكان تقرأ منهم فاناقشهم الحساب على ما جنوا . فثلي الآن مثل رجل مضطر بطبيعة مركزه ان يدافع عن نفسه ازاء خيالات واشباح صورها له الوهم وان يناقش القضاء حيث لا يجيب . لذلك يجدر بي ان اعرفكم ان متهمي ينقسمون الى قسمين . فالاولون هم الذين يتهمونني هذه التهمة امامكم . والآخرين ابعدهم من هؤلاء في نظري خطراً وهم الذين اتكلم فيهم اليوم . ويجب ان تتحققوا انه ينبغي على ان ادافع عن نفسي امام هؤلاء قبل غيرهم لما لهم من خطر السبق في اتهامي وهم اول من سمعتم منهم هذه التهم في فافسحوا لا تقسمهم فيها مجالاً واسعاً . ولقد يخيل الي الآن يا آل اثينا انه يجب علي ان اعمل جهد استطاعتي حتى اخرج من اذهانكم في ساعة ما علق بها من تلك التائم والشايات منذ سنين ووجدت أرضاً خصبة ظهرت فيها ثمارها . واني لا تمنى من سويداء قلبي ان اصل واياكم الى هذه النتيجة وان انجح في دفاعي عن نفسي اذا كان فيه خير لي ولكم . غير اني اظن ان مهتي صعبة شاقة رغم اني لست محيطاً بها . وعلى كل حال فاننا نترك النتائج لمشيئة الله . انني يجب ان اطيع القانون فابدأ بالدفاع عن مسألتي

(٣) لذلك ينبغي ان ابدأ ببحث تلك التهمة التي بني عليها ما يعزوه الي

اليوم « مالتوس » ويتهمني به . وما هذا الثمر الاجاج الا نغلة ذلك الغرس الخبيث ماذا يقولون في دعواهم هذه : أرى من الواجب ان اعتبرهم مدعين قضائيين

فاقرأ لكم قرارهم الذي بنوا عليه اساس التهمة . هم يقولون ان سقراط شوكة حادة في قلب الحكومة ومجرم لتحديه البحث في الكائنات الارضية والسماوية والاحرام العلوية والطبيعة وما بعدها ويضلل الغير باوهامه الكاذبة حتى ليقلب لهم الحقائق ويفسدها

هذا ما يقولون وتلك هي المسحة التي اتصفت بها اقاصيلهم . ولقد اتاكم « ارسطوفان » من قبل في روايته الهزلية بنتف منها اذ جعل لطلها شخصاً يقال له سقراط يحمل في دن ويدعى انه يجتاز اطباق الهواء ماشياً على قدميه ويسفط كثيراً في امور لا اعلم منها يا ذوي رحمي شيئاً قل ام كثر . ولست بقائل هذا القول ازدراء مني وتحقيراً لما يمكن ان يعرف من هذه الامور اذا برز احدكم فيها افي استطاعة « مليتوس » ان يوجه الي مثل هذه التهمة بعد ؟ ان الحقيقة يا آل اثينا اني لا اعلم من هذه الامور شيئاً . واني لأمّت اليكم جميعاً أو امت الي السواد الاعظم منكم ان تكونوا في هذا الموقف شهودي العدول : اسألكم ان يكون بعضكم لبعض ظهيراً وأسأل الذين سمعوني اتكلم فيكم من قبل وجلتكم قد سمع مني كثيراً أطرق سمع احدكم كلمة واحدة فبت بها لها بمثل ما يتخلفونهُ علي صلة ما ؟

من هنا تتحققون ان الاقاصيل الاخر التي تتلقفونها من أفواه العامة لا تختلف عن هذه شيئاً

(٤) ان بعد هذه التهمة عند الحقيقة لا يجعل لها وزناً يقام ولا لغيرها مما سمعتم من الكثيرين اني احمل الكسب المادي رائدي في بث تعاليمي . ولا اظن ان هناك نفراً كبيراً في ان اتبع في نشر التعليم وتلقين مبادئ الحكمة تلك الطرق التي يتبعها « جورجياس » الليوتوفي « وروديكوس » الايومي « وهيبياس » الايسي ان هؤلاء يذهبون الى اية مدينة من المدن التي تعرفونها ويجهدون انفسهم ما استطاعوا في ان يلتف من حولهم بعض من الشبان الذين ينضمون الي غيرهم من بني جلدتهم من غير ان يخصص عليهم استاذهم اجراً ما . وبهذه الطريقة المعيبة يستدرجون الشباب ويفرونهم على نبد الجماعات الاخر وينضمون الي جامعتهم ومن ثم يرهقونهم بما يأخذونه من المال اجراً على تعليمهم . وما ابعد هذا عن سنن الاحتشام والادب المرضي

ولم أذهب بكم بعيداً فلدينا فيلسوف آخر من « يروس » وهو الآن في بلدة أعرها . فقد وقع لي يوماً ان اقابل صديقاً اتفق من ماله على السفطائين اكثر مما اتفق كل مولع بالحكمة على غيرهم واعنى به « كالياس » بن « هيبونيكاس » وله ابنان — فمن لي ان اسأله سؤالاً فقلت له :

اذا فرضت ان ابنيك لم يكونا انسانين وكانا مهريين كريمين او ثورين ضخمين لا كترت لهما سائساً يقوم بواجب خدمتهما ونظاقتهما وجعلهما زينة وقنية طيبة . ولنفرض ان هذا السائس يكون زارعاً او مربيّاً للخيول . غير انهما « يا كالياس » من بني الانسان وتربيتها عليك حق مفروض . فهل فكرت في مربّ لهما يقوم بتثقيفهما . وهل يوجد شخص في استطاعه ان يعرف ما ينبغي ان يكون الفرق بين الفرد المطلق وبين الفرد الذي هو تابع لرعية الحكومة ؟ اني اعتقد انك فكرت في هذا الامر لان لك اولاداً . فهل يوجد هذا الشخص ؟

فاجبني بأن نعم انه من المحقق ان شخصاً كهذا لا بد من ان يكون موجوداً فسألته — أو تعرف من هو ومن أين أتى وكم يأخذ من الاجر عن تعليمه الاولاد ؟ فقال انه اينوس وقد أتى من بلدة يروس ويأخذ خمسة أمنان على كل طفل

عند ذلك علمت ان « اينوس » هذا اسعد الناس اذا كانت له هذه القدرة العالية ونفسه راضية بهذا الاجر الزهيد . فلو كان لي هذه المقدرة لقمتم في الناس وتظاهرت بالمعظمة ولتذف بي حب الجاه الى التيه عليكم والنيل منكم . ولكن ليس لي هذه القدرة ايها الاثينيون

(٥) يقول البعض منكم — « ياسقراط ما هي تعاليمك ؟ وما الذي اثار من حولك هذه الجلبة واقام ضدك هذه الدماوي ؟ انك اذا لم تكن قد فعلت الا كما فعل غيرك لما علت الجلبة من حولك ما لم تكن قد اتيت امرأ اذا خالنت فيه بقية الناس ؟ اذن يجب ان نعلم ذلك الامر حتى لا نترك وانفسا يكون لنا النظر منك شيئاً موهوماً »

يظهر يا آل اثينا ان هذا سؤال ذو قيمة . وسأعمل جهد استطاعتي حتى اوضح لكم ماهية الوسائل التي نشرت عني هذه الاقاصيص وروجت هذه الاشاعات الكاذبة — فاصغوا الي اذن

سوف يسبق الى حدس البعض اني اسخر منكم. ولكنني أؤكد لكم اني لا اقول غير الحق. والحق يا آل ايثيا ان الذي نشر اسم سقراط في طول البلاد وعرضها ضرب من الحكمة العقلية عكف على دراسته واكب عليه سني حياته لا اقل من هذا ولا اكثر

وماذا يمكن ان تكون هذه الحكمة العقلية ؟

قد يتفق ان تكون الحكمة اللائق بيني والانسان معرفتها ويحتمل ان اكون جهبذاً كبيراً فيها. على ان من ذكرت لكم الآن اسماهم قد يكونون جهابذة مبرزين في ضرب من الحكمة ارق مما يتسنى لبني البشر معرفته او غير ذلك من صنوف المعقولات مما يعد وطوق استطاعتي ان احدهم لكم — اني اتوسل اليكم ايها السادة ان لا تقطعوا عليّ سياق قولي ولا تهوشوا عليّ ولو ظننتم اني قلت ما قلت تهباً بنفسي وعجباً

ان الكلمات التي ارددها عليّ مسمعكم الآن ليست لي بل اسندما الى خطيب طالما حيتيم له الرؤوس اجلالاً. اما الشاهد الوحيد الذي ساشهده عليّ ما اشتغلت به من الحكمة — اذا سمحتم لي ان ادعوها حكمة او شيئاً من طبيعتها — فهو ذلك الاله الذي يقطن « دلفي » واظن انكم تعرفون « شيريفون » : انه كان صديقي منذ نعومة اظفاري وطفولتي وهو صديق نظامكم الديمقراطي ايضاً : انه رافقكم الى المنفى وعاد معكم (١) واني لاعرف حق المعرفة طباع شيريفون واخلاقه وغيرته في كل عمل القيت اليه مقاليدته : هاجر الى « دلفي » وحملته شجاعته عليّ ان يسأل الصوت الالهي سؤالاً : — اني لاتوسل اليكم ايها السادة ان لا تهوشوا عليّ او تقطعوا سياق قولي فيما اقول : سأل الهاتف هل يوجد رجل اعقل مني . فاجابته راهبة المعبد بان الصوت اجاب سلباً . وعندني عليّ صديق روايتي شاهد عدل هو اخو « شيريفون » — لان « شيريفون » قد ارتحل من هذه الدار الفانية اسماعيل مظهر

(١) بعد ان خصت ابارطة عام ٤٠٤ ق م تقوض في ايثيا بناء الحكومة الديمقراطية فمير بعد ذلك مجلس من ثلاث هيتا من اعيان الاثينيين بصفة مؤقتة في بادىء الامر فتمحصرت السلطة كلها فيهم فظلموا وتمسقوا بفر زعماء الحكومة الديمقراطية خوفاً من الموت وذهبوا الى منفاهم وبعد سنة واحدة اقبلت الاحوال ورجع الديمقراطيون ووطدوا اركان الحكومة الحرة وقد عمدوا في بعض الاحيان الى قوة السلاح حتى استتب لهم الامر